(١٥)

من حق كل طفل أن يكون قارئًا متميزًا

في بداية الكتابة عن هذا الموضوع نقول :

إن تعليم القراءة في المرحلة الابتدائية هي المهامة الأولى لهذه المرحلة ، وإذا فشلت المدرسة الابتدائية في تحقيق هذه المهامة فإنها تكون قد فشلت في أداء رسالتها كلها ، ومن ثمَّ كان واجبًا على الدول كلها أن تبذل قصارى جهدها لتحقق هذا الحلم «أن يكون كل طفل قادرًا على القراءة» لأنه بهذه القدرة نتوقع ـ بدرجة كبيرة من الاطمئنان ـ أن يواصل هذا الطفل الدراسة ، وأن يواصل تنمية معارفه وإدراكاته ، ومن ثمَّ ترقي الحياة به ومن حوله ، فالقراءة ليست فقط وسيلة لتنمية المعارف ، وإنما هي وسيلة ـ أيضاً ـ لترقية الحياة وتطويرها بالمستجدات من المبتكرات ، والمستحدثات ، والأمم القارئة هي الأمم الرائدة والقائدة ـ في ذات الوقت ـ ولن يتسنى لمجتمع ما على هذه البسيطة أن يواكب العصر إلا بتحقيق هذين المستويين من تعليم القراءة مستوى تنمية المعارف ، ومستوى استخدام المعارف في بناء صرح التقنية ودفع الحياة إلى الإمام .

وتحقيق هذا الحلم «حق كل طفل في أن يكون قارئًا متميزًا» يتطلب مراعاة عدة أبعاد مهمة تناولتها الدراسات والأدبيات السابقة التي تناولت فن القراءة منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين .

ومن أجل هذا اتجه كثير من الباحثين في مجال علم النفس اللغوي وفي مجال علم الاجتماع اللغوي في فهم عملية القراءة والعوامل المؤثرة فيها بدلاً

من التركيز على طرائق تعليم القراءة ، فعلى سبيل المثال كان «جودمان Goodman» مهتمًا بالعلاقة بين الكر واللغة ، وتأثر في هذا الاتجاه بكل من «بياجيه» و«فيجوتسكي» وقد صدر كتاب شهير لـ «جودمان» عنوانه : الطبيعة النفسية اللغوية لعملية القراءة .

تذكر السبعينيات والثمانينات من القرن الماضي بكثرة البحوث التي ظهرت متعلقة بجوانب علم النفس اللغوي ودوره في النظر إلى عملية القراءة . لقد أحدثت هذه البحوث تغييرات جوهرية في النظر إلى مهارة القراءة وغيرت كثيراً من المفاهيم التي كان ينظر بها إلى القراءة ، ولعل استقرار مصطلح القراءة كان أهم نتائج هذه الدراسات ، فقد نظر إلى القراءة على أنها عملية فكرية لغوية «Reading is a thought - Language Process» وعلى هذا ، فإن مواد القراءة ينبغي أن تكون ذات معنى وفائدة بالغة للمتعلم .

وفي خمسينيات القرن الماضي حدثت ثورة هائلة في مجال تعليم القراءة بعد أن أطلق الروس قمرهم الصناعي الأول (سبوتنيك) وبدأ الأمريكان هذه الثورة ، واتُهِمَ المدرس الأمريكي بأنه لا يعلم الطفل القراءة بالمعنى الذي يؤدي إلى تنمية القدرة الابتكارية لديه ، وخصصت سبعينيات القرن الماضي لما سمي آنذاك «حق الطفل في أن يكون قادراً على القراءة» .

وصدر التقرير الشهير عام ١٩٨٢م «Becoming a Nation of Readers» لنكن أمة من القرَّاء ، وصدر أخيراً التقرير الشهير للرئيس بوش الابن :

«No Child Left Behind» لن نترك طفلاً في المؤخرة «وظهرت ثورة في دنيا القراءة ، وبدأت دور النشر في إصدار إعلانات عن الكتب التي تشجع على الاهتمام بقراءة الأطفال منذ سن صغيرة ، وكان من أخطر هذه الإعلانات ما ذكرته دار نشر «سكوت فورسمان» .

«سنغير العالم بطفل يقرأ» «سنغير العالم بطفل نضع أمامه قصة»

وفي كتابهما ذكر كل من «ألبرت هاريس Albert Harris» و«إدوارد سايباي Edward Sipay» في كتابهما الرائع «كيف نزيد من القدرة على القراءة؟» . "How to Increase Reading Ability"

«هناك اهتمام مزايد على المستويين القومي والعالمي بتنمية القدرة على القراءة» ولم تعد قضية تعليمها ترفًا ، بحيث يعطي مستوى أقل من القدرة القرائية للجماهير ، ومستوى أعلى للصفوة ، بل أن الالتزام في العصر الحالي لدى جميع الدول ، والمؤسسات الاجتماعية هو تحقيق أقصى قدر من القدرة القرائية لدى جميع المواطنين من جميع الفئات لأنه حق لهم ، وأطلق على هذا مصطلح «حق القراءة The Right to Read» وتعرف القدرة على القراءة بأنها الإجابة الصحيحة عن ٧٥٪ على الأقل من الاختبارات المقننة في القراءة .

ولتحقيق هذا المستوى القرائي ، ووفاء بحق كل طفل في أن يكون قارئاً جيدًا لابد من دراسة الجوانب الآتية :

١- الاستعداد لتعلم القراءة .

٢- طرق تعليم القراءة .

٣- الفروق الفردية في تعلم القراءة .

٤- العسر القرائي .

٥- قياس الكفاءة في القراءة .

٦- العوامل المعرفية وصعوبات القراءة .

٧- العوامل الفسيولوجية وصعوبات القراءة .

٨- العوامل الثقافية وصعوبات القراءة .

٩- العلاج القرائي ومبادئه .

١٠- مهارات تعرف الكلمة .

١١- مهارات الفهم في القراءة .

١٢- تنمية الميول والتذوق في القراءة .

١٣- تنمية السرعة في القراءة .

ولأن القراءة عملية معقدة تتضمن عمليات إدراكية ، وفكرية ، ومعرفية ، واجتماعية ، وثقافية ذكرت «روث سترانج Ruth Strang» في كتابها الشهير علم النفس القراءة Psychology of Reading أن القراءة مفهوم متعدد النواحي ، فهي عملية بصرية متعلقة بالإحساس والإدراك ، وهي عملية نفسية ، تقوم على الربط بين الرموز ومعانيها لفهم مراد الكاتب ، وهي أيضاً خبرات غير منتظمة ومعقدة تتعلق بالنظرة الكلية للقارئ ، وهي أنماط من الأنشطة التي تتنوع تبعًا لغرض القارئ وطبيعة المادة المقروءة ، وهي ـ أيضًا ـ عملية اجتماعية وثقافية تتطلب اتجاهًا إيجابيًّا من المجتمع نحو القراءة ، وتوجهها عامًا نحو القراءة ، والقراءة ، واهتمامًا بالغًا بالكتاب ، وحوافز اجتماعية وسياقًا أسريًّا ثقافيًّا مساعدًا على القراءة وتنمية الميل إليها .

من أجل ذلك تنبغي العناية بجميع العوامل التي تؤثر في القدرة اللغوية لدى الأطفال ، وتزيل العقبات التي تحول دون تحقيق حق كل طفل في أن يكون قارئًا. إن حق القراءة أصبح جزءًا لا يتجزأ من حقوق الأطفال ، كما حددتها مؤسسات الأمم المتحدة ، ومنظماتها المختلفة ، باعتبار أن المجتمعات الحديثة بتعقيداتها المختلفة تتطلب قدرة فائقة على القراءة ، بل قدرة فائقة على القراءة بسرعة مقبولة تحقق للمواطن أن يعيش مجتمعه ، وحياته ، وأن يسهم ـ بقدر ما أتيح له ـ في تطوير مجتمعه وتنمية جوانبه .

وفي هذا السياق قدم «كاريلو» Carillo مفهومًا تطوريًّا للقراءة ، فكلما انتقل الفرد من مرحلة إلى أخرى زاد تعقد العمليات العقلية والمعرفية التي يقوم بها القارئ ، ويتكون هذا المفهوم من خمس مراحل تبدأ بمرحلة

الاستعداد ثم مرحلة بدء القراءة ، فمرحلة الانطلاق ، ثم مرحلة توسيع القراءة ، ومرحلة الصقل والمراجعة ، ولا قمة لمخروط القراءة ، في رأي «كاريلو» ويدل هذا على النهاية المفتوحة وإمكانية وصول القارئ إلى مستويات أعلى من التمكن طبقاً لقدراته ، ومن أهم هذه المستويات الاختراعات والابتكارات التي ميزت القرن العشرين .

ولم يقتصر الأمر عند الاهتمام بتعليم القراءة وتنميتها لدى الأطفال العاديين والفائقين ، بل امتد الاهتمام إلى الأطفال ذوي الصعوبات ؛ ففي عام ١٩١٠م وُجِدَت حوالي ٣٦ دراسة في الولايات المتحدة تدور حول الصعوبات التي توجد لدى المتأخرين قرائياً ، وكانت دراسات «ثورنديك» هي البداية في هذا المجال ، حيث ذكر ثورنديك أن الضعف في القراءة وتعرف الرموز ـ بصفة خاصة ـ يعود إلى عدم القدرة على فهم النص المكتوب ، أو صعوبة هذا النص ـ وظهر ما يسمى ـ على يد «ثورنديك» ـ انقرائية المواد المقروءة ، وظهرت لأول مرة في اللغة الإنجليزية قوائم المفردات عام ١٩٢١م ومعادلات الانقرائية.

وقد اشترك الأطباء مع المتخصصين في القراءة في دراسة صعوبات القراءة لدى المتأخرين ، وظهرت الدراسات العلمية حول ما يسمى بالعسر القرائي Dyslexia (عمى الذاكرة) وما يسمى بالتأخر المعرفي "Congenital lexia" وطُبع أول كتاب يعالج الضعف في القراءة «لإدموند هوي Edmund Huey» وعنوان الكتاب : «علم نفس القراءة وتعليمها» .

=Psychology and Pedagogy of Reading» وظهر بجانب ذلك البحوث التي تناولت ـ بصفة خاصة ـ مهارات القراءة والاستعداد للقراءة وتنمية الثروة اللغوية ، والاهتمام بالقراءة الصامتة ، والفهم الناقد ، والابتكاري والتذوق ، وأخيراً ظهر علم النفس المعرفي وتطبيقاته في مجال تعليم وتعلم القراءة ، كذلك ظهرت استراتيجيات «ما وراء المعرفة» Metacognition ، وما تزال

الدراسات والبحوث تضخ عبر شبكة المعلومات الدولية ، بحيث لم يعد يسهل على المتخصصين ، والمهتمين بالقراءة ملاحظة القضايا المطروحة والمسائل المقدمة ، لكن يمكن باختصار القول : إن التركيز في تعليم القراءة الآن على أمرين في غاية الخطورة ، هما :

١- مراجعة الفهم والتخطيط للقراءة .

٢- تنمية الطاقات الفكرية والإبداعية لدى المتعلمين .

ولأهمية الوقاية والعلاج في مجال تحقيق «حق كل طفل في أن يكون قارئًا» . . تعمل الدول المتقدمة بكل الطاقة والجهد في عدة مجالات متوازية من أجل تحقيق هذا الهدف السامي ، من هذه المجالات :

- الحالة الصحية للأطفال .
- الجوانب الإدراكية .
- الجوانب الانفعالية .
- الجوانب الاجتماعية والثقافية .
- الجوانب المعرفية والعقلية .
- الجوانب التربوية وإعداد المواد التعليمية .
- إعداد معلم القراءة في أقسام خاصة بالجامعة .
- إعداد مختص التشخيص والعلاج في القراءة .
- إعداد اختبارات القراءة .
- إعداد اختبارات التشخيص .
- علاج المتعسرين قرائيًا .

وبقدر ما تبذل الدول من مجهود في مراعاة العوامل السابقة المؤثرة في عملية تعليم القراءة ترتب الدول في مضمار العلم والمعرفة ومستوى إتقان فن القراءة لدى مواطنيها . وهذه بعض الإحصاءات التي ذكرها «هاريس وسايباي» في كتابهما الذي أُشِير إليه من قبل :

ففي اليابان تبلغ نسبة الضعف في القراءة ١٪ و ٢٪ في تشيكوسلوفاكيا و٥٪ في الدانمرك ، والنرويج ، و٨٪ في السويد ، وألمانيا الغربية سابقًا ، و١٠٪ في إنجلترا ، وفنلندا ، و١٣٪ في إسرائيل ، و١٤٪ في الأرجنتين ، و١٥٪ في اسكتلندا ، و١٦٪ في أيرلندا ، وأعلى نسبة ٢٢٪ في النمسا منهم ٤٪ يعانون من عسر واضح في القراءة «Dyslexia».

وهنا ملاحظة مهمة لابد أن نشير إليها ، وهي أن المتأخر قرائيًا في هذه النسب التي أشرنا إليها هو الذي لا يجيب عن ٧٥٪ على الأقل من الأسئلة في اختبار قراءة مقنن .

كذلك هناك ملاحظة أخرى هي أن أعلى نسب التأخر ٢٢٪ في النمسا ، وأقلها في اليابان ١٪ .

وقد يطرح هنا سؤال ، أو أكثر :

- هل لدينا دراسات في البلاد العربية تمثل هذا المستوى ، أو النوع؟
- وإذا أجريت هذه الدراسات ، فما النسب المتوقعة؟
- ما النسب المتوقعة في بعض البلاد العربية التي تبلغ نسبة الأمية الكاملة فيها ٧٠٪ ، أو ٨٠٪؟

ومن النسب التي أوردناها آنفًا يمكن ملاحظة العلاقة العضوية بين ارتفاع نسبة القدرة القرائية ، وارتفاع المستوى الاقتصادي والحضاري ، وارتفاع مستوى المعيشة لدى كل المواطنين .

ولعل نقطة البداية في «تحقيق حق كل طفل في أن يكون قارئاً» أن نبدأ من الرعاية والعناية بهذا الطفل منذ مرحلة الرياض ، فهذه المرحلة لم تعد مجرد مقدمة للسلم التعليمي ، بل أصبحت في كثير من الدول المتقدمة مرحلة من المراحل التعليمية المهمة ، بعد أن ثبت أن سن السادسة ليس هو البداية الصحيحة للبدء في تعلم القراءة ، خاصة أن المعطيات التي في بيئة الطفل تنمي قدراته المختلفة ، ومنها القدرة على التعرف والملاحظة ، علاوة على أن

المراحل الفكرية المرتبطة بالمراحل العمرية التي ذكرها «بياجيه» لم تعد هي المناسبة في هذا العصر بعد إجراء كثير من الدراسات والبحوث في مجال النمو وتنمية القدرات العقلية ، وأصبح من الممكن الإسراع بمراحل نمو الطفل وتنمية قدراته بكثير من الأنشطة التي يمكن أن يقوم بها من خلال الشبكة الدولية للمعلومات والتلفاز وبرامجه ، والرحلات والأنشطة المختلفة في الرياض .

وعلى هذا أصبحت وظيفة مرحلة الرياض الرئيسة تنمية بعض المهارات الأساسية في القراءة والكتابة ، وتنمية كثير من المفاهيم العلمية والرياضية ، والبيئية ، والإنسانية بحيث يدخل الطفل الصف الأول الابتدائي وهو قادر على قراءة المواد المناسبة ، وفهم بعض المدركات الأساسية في مجال العلوم والرياضيات والبيئة .

ومن الأمور التي ينبغي العناية بها في مرحلة الرياض ، وتنمية الاستعداد لتعلم القراءة ما يلي :

١- القدرة العقلية .
٢- العمر الزمني .
٣- التمييز البصري .
٤- القدرة الحركية .
٥- التمييز السمعي .
٦- النضج الجسمي والنفسي .
٧- العوامل الاجتماعية والثقافية .

ويمكن التحقق من الاستعداد للقراءة باستخدام أداة ، أو أكثر مما يلي :

١- اختبارات الذكاء .
٢- اختبارات القدرات الخاصة .
٣- اختبارات الاستعداد للقراءة .
٤- اختبارات التنبؤ بالفشل في القراءة .
٥- أحكام المعلمين .

وهذه بعض التوصيات التي تحقق إعطاء الفرصة لكل طفل كي يكون قارئًا متميزًا .

١- تأكيد حق الطفل بأن تتاح له جميع الفرص لكي يتعلم القراءة بفاعلية .

٢- توجيه مزيد من الاهتمام نحو تنمية قدرة الطفل على بناء المعنى من خلال تفاعل خبراته مع خبرات النص المكتوب .

٣- ضرورة إعادة النظر في أهداف تعليم القراءة في المراحل التعليمية المختلفة بحيث تتوافق مع الاتجاهات الحديثة في تعليم القراءة .

٤- توجيه نظر القائمين على تعليم القراءة إلى الاهتمام بمفهوم القراءة في ضوء الاتجاهات الحديثة في تعليمها .

٥- ضرورة إعادة النظر في أساليب تقويم تعليم القراءة في المراحل التعليمية المختلفة .

٦- ضرورة استخدام التكنولوجيا في تعليم القراءة والتوجه نحو القراءة الإلكترونية .

٧- توجيه نظر القائمين على تعليم القراءة بضرورة الاستفادة من استراتيجيات تدريس القراءة في المراحل التعليمية المختلفة .

٨- ضرورة ربط تعليم القراءة بالمشكلات الحياتية للمتعلمين عبر المراحل التعليمية المختلفة .

٩- ضرورة الاهتمام بالأنشطة القرائية الصفية واللاصفية في تعليم القراءة عبر المراحل التعليمية المختلفة .

١٠- التأكيد على العوامل المسهمة في القدرة القرائية ومنها قوة الإبصار ، والسمع ، والجوانب النفسية والانفعالية والثقافية .

١١- الاهتمام بإعداد معلم القراءة وبصفة خاصة في كليات ومعاهد إعداد المعلم، ويُقترح في هذا المجال إعداد معلم القراءة في المرحلة الابتدائية .

١٢- تحديد المستويات القرائية لدى المواطن العربي .

١٣- تنمية التفكير من خلال القراءة ؛ فاللغة هي لُحمة التفكير .

١٤- ضرورة الاهتمام بتنمية الرصيد اللغوي لدوره في زيادة الرصيد الفكري .

١٥- تنمية العلاقة بين الاحترام للذات والقراءة وتعلم الكتابة حتى نفهم العالم .

١٦- تعلم القراءة أمر معقد يتطلب معرفة الجوانب المسهمة في عملية القراءة ، وهي :

- تحديد البنية الصوتية .
- الاهتمام بالتفاعل مع النص المكتوب حسب بيئته .

١٧- الاهتمام ببرامج التوعية الأسرية ، وبناء عدد متنوع من تلك البرامج ؛ حتى تواجه احتياجات كل من الأسر والأطفال وتسهم في إثراء البيئة المنزلية .

١٨- ضرورة السعي لإيجاد نوع من التكامل بين نتائج البحوث العلمية وجهود المدرسة في تنمية مهارات القراءة والكتابة لدى الأطفال .

١٩- ضرورة سعي المتهمين بتعليم القراءة والكتابة نحو التنقيب عن مسار يُعيننا على تفسير التباين في أداء التلاميذ ؛ حتى ينسجم ذلك التفسير مع الفكرة التي مفادها أن الوالدين والمعلمين والمخططين التربويين في مختلف المجتمعات يمكن أن يتعلموا من خبرات بعضهم البعض .

٢٠- السعي قدمًا نحو إثراء المناخ الثقافي والاجتماعي الذي يسهم بدوره في إثراء القراءة وتوسيع أهدافها والارتقاء بتلك الأهداف حتى تبلغ مستوى الاستمتاع وتسهم في بناء الإبداع .

٢١- الاهتمام بفكرة التميز في القراءة ، ووضع معايير علمية للحكم على التميز في القراءة ، ولا شك أن نسبة ٧٥٪ نسبة مقبولة لتحديد التميز في القراءة .

٢٢- الاهتمام بالمواد التعليمية الجذابة التي تساعد على الميل للقراءة ، والارتباط بها ومن ثَمَّ التميز فيها .

٢٣- الاهتمام بمرحلة رياض الأطفال باعتبارها ممهدة للتميز في القراءة وبصفة خاصة أن كثيراً من الدول تعتبر مرحلة الرياض مقدمة للمرحلة الابتدائية ، ومن المفترض أن ينهي مرحلة الرياض وهو قادرٌ على تعرف الرموز والأبجدية العربية ، وأن تنمو قدرته على تعرف وفهم المفردات والجمل التي تقدم إليه ، ومن ثَمَّ يدخل المرحلة الابتدائية ، وهو قادرٌ على القراءة .

٢٤- ضرورة الإفادة من المدخل المنظومي في الاهتمام بالتدريب على الأصوات Phomics العربية ، باعتبار أن المدخل الصوتي يسود في معظم دول العالم ي تعليم القراءة بالنسبة للمبتدئين .

٢٥- الاهتمام بالقراءة التفسيرية والتأويلية والتي تتعلق بالبحث عن معنى آخر؛ فالقراءة التأويلية أعلى القراءات ، والتأويل هو محاولة ربط النص أو إرجاع النص إلى أصله وهو ـ أيضاً ـ محاولة إبحار في المعنى ونقل اللفظ من معناه الراجح إلى معناه المرجوح .

٢٦- ضرورة التحول من البنائية ذات المسار العام إلى البنائية ذات المسارات المتنوعة في بحوث القراءة والكتابة ؛ وذلك لسد الفجوة بين أداء التلاميذ الذين يأتون من خلفيات متباينة ، وأقرانهم الذين ينحدرون من مستويات تتسم بأنها ذات مسار عام .

٢٧- ضرورة تبني مداخل الأدب في تعليم القراءة في المراحل الأولى ، وتوعية الأسرة بأهمية هذا المدخل ، وتدريبها على كيفية توظيفه في إيجاد الدوافع الحقيقية والميول القوية التي تسهم في بناء قارئ مبدع .

٢٨- ضرورة توظيف التقنية في إعداد المقررات الدراسية .

٢٩- ضرورة توجيه المعلمين إلى ضرورة استخدام الأنواع المختلفة من الوسائط في تطوير مهارات الطفل الأساسية في القراءة والكتابة .

٣٠- توجيه عناية وزارة التربية والتعليم بضرورة تغيير التنظيم الاجتماعي للفصول الدراسية ، بحيث تكون متمركزة حول الطفل في تعلم أساسيات القراءة والكتابة .

٣١- ضرورة قيام مديريات التعليم بتزويد مراكز مصادر التعلم في المدارس الابتدائية بالقصص المناسبة لتحسين درجة الانقرائية لدى التلاميذ .

٣٢- تدعيم التعاون بين وزارتي التربية والتعليم والإعلام لتبني أفلام الأطفال التي تشجعهم على عادات القراءة والكتابة في سن مبكرة مع الترويج الإعلامي لذلك .

٣٣- على وزارة التربية والتعليم إعداد كتب إرشادية تفيد المعلمين في تخطيط مواقف التعليم وأنشطته ، بما يحقق تكامل فنون اللغة ومهاراتها ، واستراتيجيات تعلمها .

٣٤- تنمية اتجاه الآباء نحو القراءة من خلال وسائل الإعلام لإكساب أبنائهم عادة القراءة .

* * *